رسالة إلى راهب متجول

مجموعة قصصية

عادل الغنام

الطبعة الأولى

2021م- 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية - بورسعيد

عنـــوان الكتاب: رسالة إلى راهب متجول

اســـم المـؤلف: عادل الغنام

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــداع: 2596 / 2021

الترقيـم الدولي: 5 - 82 - 6749 - 977 – 978

تـصميـم الغلاف: م. شيماء منير

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

رسالة إلى راهب متجول

مجموعة قصصية

عـــادل الغنـــام

2021

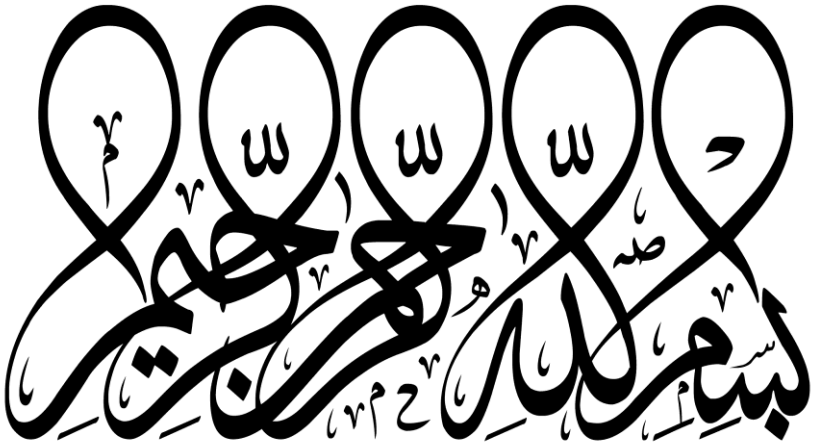
بسم الله الرحمن الرحيم

إلَى أَبِي

مَشَيْتُ طَويْلاً فِي ظِلِّكَ

حَتَّى نَبَتَ لِظلِّي أَجْنِحَة!

عادل الغنام

❊❊❊❊

تُفَّاحَة آدَم

أخبرني أبي أن جدي لم يرغب يومًا في الشجرة المحرمة، كل ما هنالك أن جدتي اشتهت ثمار التفاح، ولم يشأ لها أن تنام ليلتها حزينة.. "هو الحب يا ولدي.. الحب.. وليست الخطيئة".

****

حَمْلٌ إِلِكْتِرونِي

المرأة التي اعتادت أن تحتضن هاتفها الذكي أثناء نومها، تتصفح برامج التواصل الاجتماعي، شعرت ليلة أمس بآلام شديدة أسفل بطنها. نقلوها إلى المستشفى. صرختْ من الألم والدهشة حين أخبرتها الطبيبة أنها حُبْلَى وعلى وشك الولادة. كيف حدث ذلك في غفلة منها؟ صرختْ مرة أخرى. حملوها فوق نقالة المرضى. دفعوها إلى غرفة العمليات الجراحية العاجلة. قبل أن تدخل الغرفة، صرخت مرة ثالثة. هذه المرة انزلق من رحمها جنين له

شكل غريب، يشبه عصفورًا أزرق اللون. وقف على رأس النقالة. نظر إلى المرأة وأهلها والطبيبة والممرضات، ثم قفز في خفة محلقًا بجناحيه الصغيرين، هاربًا من نافذة المستشفى وسط ذهول الجميع، بينما تشكل خلاص المرأة على هيئة وجوه حزينة ووجوه مندهشة وأخرى ساخرة!

****

الْمُهَرِج السَّعِيد

تَبِعْتَه في إصرار بعدما فرغ من عرضه الممتع، أدهشتني قدرته على ممارسة الألعاب البهلوانية، وقيامه بخدع السحر المضحكة، مع تقليده لأصوات الحيوانات وكذلك المشاهير من الفنانين. جذبني الفضول لمعرفة هل هو حقًا سعيد كما يبدو على أفعاله؟ أم أن عمله يقتصر على صنع البهجة، بينما يعيش في حزن وكآبة؟ تعقبتُ خطواته؛ خرج من السيرك، ركب سيارة نقل عام، اشترى الطعام من السوق، ظللت ألاحقه حتى دخل

منزله، وقفتُ أمام شقته ليلة كاملة أتنصت في خلسة إلى نكاته التي تبث السعادة في مَنْ حوله، وأصداء الضحكات الجهورية تعج بالمكان. لاحقًا، علمتُ أنه يسكن الشقة وحده.

****

جَبَل مِنْ زُجَاج

الولد المتقوقع حول نفسه كحلزون صغير، يلتصق بظهر أبيه، يحتمي به من عواصف الصحراء، برودة الليل، يد المعلمة القاسية، وباء العصر، لا يدري كم أصبحت عظام أبيه هشة، مثل لوح من زجاج، غير أن عليه الصمود، وإلا أمسى الصغير كريشة هائمة تقاذفها الرياح.

****

حُلم رَجُلٍ طَيب

لم يملك عم "راضي" حلاق قريتنا، غير أن يهز رأسه في حسرة عند سماع كلمات الثناء التي تنهال على كبار رجال الدولة عبر التلفاز. يرفع يديه عن رأس الزبون، ويشير إلى الشاشة بالمقص والمشط اللذان لا يفارقان يديه قط، حتى وإن كان في فترة الراحة، يتحدث بنغمة ساخرة: "ومَنْ يدعوا للمساكين أمثالك يا راضي؟" ثم يواصل عمله في همة.

صباح اليوم، زعقت مكبرات الصوت باسم عم راضي، مما دفع أهل القرية للهرع إلى بيته. قابلهم ابنه الأكبر، حدثهم بصوت متهدج: "وحدوا الله يا إخوان، الدفن بعد صلاة العصر، والعزاء على المقابر".

فَيَضَان

في فترة عملي خارج الوطن، طلب مني طلابي الأجانب رسم خريطة بلادي. تمكنتُ ببساطة أن أوضح لهم كيف ينساب النيل في شموخ من الجنوب إلى الشمال، ليحمل قبلة النوبي الوَلِه لحبيبته المتلهفة على شاطئ الإسكندرية بسلام. طويتُ الورقة والحنين في جيب القميص. رجعتُ إلى منزلي تطربني ذكريات النهر والأحباب، غير أني شعرت بشيء غريب في جيبي. أخرجتُ الورقة. وجدتها مبتلة تمامًا. تساءلت في نفسي... أمع السد العالي مازال النيل يفيض؟!

****

شَغَف

...ومع علمي بأن أغلب القصص التي تحكيها، هي نفس القصص التي كانت ترويها لي وأنا صغير، فإن ذلك لم يمنعني يومًا واحدًا من التسلل من مكتبي في سكون الليل، لأقف خلف باب غرفة آمال، أسترق السمع لما سترويه لها نادية... مفعمًا بالشغف!

****

عِلاقَة مَمْنُوعَةٌ

لم تعرف سر رفض والدها لهذا العريس، كل من سبقوه رفضتهم هي، أما هذا الشاب فهو الوحيد الذي راق لها؛ خريج جامعي، من أسرة معروفة، كانوا جيرانًا لهم في القرية أيام بيوت الطين، وقبل أن يشيد أبوها بيتهم الكبير الحالي فوق قطعة الأرض التي اشتراها بعد عودته من الخليج. شرعتْ في محاولة أخيرة؛ انتهزت ساعة جلوسه في حديقة المنزل بعد صلاة المغرب يحتسي فنجانًا من القهوة، تقدمت في خجل وارتباك، فتحت له قلبها وسألته أن يخبرها عن سبب رفضه. أجابها بكلمات مقتضبة:

-ابنتي...هذا الفتى لا يصلح لك، زوجك لابد وأن يكون مكتمل الرجولة، ولن أزيدك بعد ذلك كلمة.

قامت البنت تتعثر في فستانها الطويل وتستر دموعًا فرت من عينيها. تابع الأب خطواتها الحزينة، كم أراد أن يحقق رغبتها، لكن كيف..؟ وهو نفسه سر نقص رجولة ذاك الفتى في يوم ماطر طيني بعيد.

****

مِنْ نَظرة عَيْن

سألها زوجها الثاني في ليلة عرسهما عن سر طلاقها الأول، فأجابته أنها ذات شخصية منفتحة، ناجحة في عملها، ولديها الكثير من الأصدقاء، وهو ما لم يتحمله زوجها السابق المفرط في غيرته. مع محاولة زوجها الثالث معرفة سبب انفصالها عن سلفه، أطرقتْ برأسها خجلًا وأسرت له بأنه لم يعرها الاهتمام اللائق بها، لدرجة أنه لم يلقِ بالًا لتحرش أصدقائه المتكرر بها. زوجها الأخير، لم يجد ضرورة لسؤالها عما مضى؛ فعينيها الهائمتين، مع شفتيها المرتعشتين، وعبق عرقها الذي بلل وجهه حين هم بعناقها، أفشوا له من أسرارها ما جعله مطمئنًا إلى أنها لن تبرح جدرانه ما حيت.

عِنَاق

لا أعلم لِمَ يصر عند عناقي على الضغط بكلتا يديه فوق جرح قديم أصابني إياه؟! ألم يعلم أن الألم لم يزل يقظًا وأن الجرح لما يندمل؟

****

الزَّائِر

جلس على مقربة من الطاولة المستطيلة، يتأمل في شغف اللوحات الزيتية التي تغطي بأناقة بقع الطلاء المتساقط من جدران الغرفة، التي يتخذها أدباء قصر الثقافة مقرًا لندواتهم الأسبوعية. أمسك قلمًا من الرصاص ونوتة، ينصت باهتمام لقصائد الشعر والقصص القصيرة، يسجل أسماء الشباب، عناوين أعمالهم، وملاحظات موجزة حولها. اعتذر بدماثة عن التعليق وإبداء رأيه في ما يعرض من إبداعات، بسبب حداثة دخوله لعالم الأدب، وخجله من طرح أفكاره قبل أن يحصل على الخبرة الكافية. بعد نهاية الندوة ومغادرة الأعضاء، توجه الزائر إلى مشرف النشاط الجالس على رأس الطاولة. سأله عن موعد اللقاء القادم، وأخبره عن رغبته في المواظبة

على الحضور. التفت إليه المشرف، رغب في أن يتعرف على شخصيته، فأخرج الزائر بطاقة العمل الخاصة به. سخر المشرف في نفسه من الرجل، فقد كان يكفيه أن يصرح باسمه وينتهي الأمر. قرأ المشرف بيانات البطاقة، اعتدل في جلسته، ارتسمت الجدية على وجهه، تحدث في لهجة توقير ظاهرة:

-حضرتك تحضر وقت ما تحب، الندوة تبدأ السادسة من مساء كل ثلاثاء، ومن الممكن تغيير الموعد ليناسب وقت سيادتك. كل العاملين في القصر يعملون لرفعة الوطن، ويقدمون يد العون لعيونه الساهرة، ولأمنه العام.

****

دِعاية

بعرض ثلاثة أمتار وارتفاع متر ونصف، استبدل "حسام" يافطة دكانه الخشبية بأخرى جديدة، مضاءة بالمصابيح الملونة، كتب فوقها بخط عريض مزخرف "صالون الحلاقة الأول في المدينة". دأب الحلاق الشاب على الخروج من الدكان بين كل زبون وآخر، ليرمق اليافطة في إعجاب ثم يعود ليتابع عمله. رويدًا تزايدت المدة التي يقضيها في مراقبة اليافطة، مما أصاب زبائنه بالملل والتذمر. بالأمس مررت من أمام الدكان، شاهدت "حسام" واقفًا في زهو، يلتقط صورًا بهاتفه النقال لليافطة، بينما خلا صالون الحلاقة تمامًا من الرؤوس الراغبة في الحلاقة وتصفيف الشعر.

****

مِرْآة الْحَقِيقَة

وقف الملك أمام مرآة كبيرة في غرفة الحكم، يتحدث إليها بصوت منخفض: "يا مرآة الحقيقة، هل هناك من يفوقني حكمة وعدلًا في الدولة؟". انبعث من المرآة صوت رخيم.." أنت رجل البلاد العظيم، ولا مثيل لك في الأرض".

التفت الحاكم إلى رئيس الحرس، أشار إليه كي يصغي لكلمات المرآة، غير أن الأخير كان منصرفًا عنه في متابعة جموع المتظاهرين المحيطة بأسوار القصر، تهز أصواتهم الثائرة أعمدته التي رسخت فوق تلك الأرض منذ عقود مضت. أخبر رئيس الحرس الملك بأنه لم يعد هناك وقت للحديث،

ولابد لهم من مغادرة القصر إلى المروحية الملكية التي تنتظره مع زوجته وأبنائه.

ارتجف الملك بعنف وانقبض صدره. دار بعينيه في قاعة الحكم الرحيبة، تأمل صورته الضخمة على الجدار، تساءَل في نفسه "أهكذا تكون النهاية؟"، ثم ترك جسده الذي أوهنه الزمن لرئيس الحرس، ليقوده إلى مخرج سري ومنه إلى الطائرة التي حلقت بهم في الحال. دقائق قليلة، واقتحم الثوار مجلس الحكم. خرج من بينهم رجل أشيب فساد الصمت. تقدم الرجل في ثبات نحو المرآة الكبيرة، تحدث إليها في ثقة: "يا مرآة الحقيقة... هل في البلاد من يفوقني قوة وحكمة؟". انبعث من المرآة نفس الصوت الرخيم.." أنت رجل البلاد العظيم، ولا مثيل لك في الأرض". صاح الثوار في سعادة، حملوا قائدهم الأشيب، أجلسوه فوق عرش البلاد، ثم خرجوا للطرقات لمواصلة الرقص والاحتفال.

قَرَار

انبسطت أساريره عندما قرأ بالجريدة خبر افتتاح عدد من دورات المياه العامة في وسط المدينة، بمقابل أجر رمزي جنيه واحد لكل مواطن. كم طالبوا بذلك الأمر منذ سنوات عديدة، كي تتخلص الطرقات من الروائح النتنة، والمشاهد القبيحة للمارة وهم يقضون حاجتهم على الجدران وأعمدة الكباري. تابع حفل الافتتاح على شاشة التلفاز، وشاهد رئيس مجلس المدينة وهو يفتتح المشروع بنفسه، بعد أن قام بالتبول شخصيًا في أكبر المراحيض الموجودة به.

اليوم التالي، بعد خروجه من العمل، شعر برغبة ملحة لقضاء حاجته، توجه للدورات العامة فوجدها مغلقة، وعلى بابها لافتة مكتوب عليها

"مغلق للصيانة". هل يفعلها على الجدار؟ لا.. مستحيل. اتخذ قرارًا بالتماسك والتحمل وسار في طريق العودة لمنزله، حاول أن يصرف عقله بالتفكير في أمور أخرى؛ الجو اليوم لطيف للغاية.. الطريق مليء بالحفر والمطبات. الزحام يمنعه من الإسراع بالسير، لم يعد هناك مفر، انحرف إلى شارع جانبي، تخير ركنًا منعزلًا، وقف يقضي حاجته، لم تمر ثوانٍ حتى انضم إليه نفر غير قليل من المارة، يشاركونه الفعل، ويبتسمون له في ود وحرارة!

****

الصَّخْرَة

في البداية ظننتها معركة عادية كالتي ينخرط فيها الصبية بين يوم وآخَر. خرجتُ للشرفة فشاهدتُ زحامًا شديدًا حول سيدة تقذف المارة بالحجارة. عرفت أنها "سالمة"، جارتنا "الغزاوية"، والتي سكنت حارتنا منذ عدة سنوات بعدما تهدم بيتها في غارة شنتها عليه طائرات الصهاينة، ومات على أثرها زوجها وابنها الوحيد الذي شاهدنا جثته على شاشة التلفاز بدون رأس، بينما كُتِبَ لها النجاة حيث كانت وقت الحادثة في زيارة عائلية لأخوالها في مصر. لم تتحمل "سالمة" الصدمة، ولم تتمكن من العودة لغزة، وبقيت في مصر تتلقى علاجًا لأعصابها. مع ذلك، يحدث بين الفترة

والأخرى أن تصيبها حالة غير مفهومة، تخرج فيها للشارع، تصرخ وتضرب المارة بالحجارة، وهي لا تعي ما تفعل أو تقول.

نزلتُ بنفسي لاستكشاف الموقف. رأيت "سالمة" وقد أمسكت في يدها سكينًا صغيرًا، تعدو به خلف الصبية. لم أعرف السبب الذي جعلها تشير إليّ من بين الزحام، حاولت أن تمسك بي وهي تصرخ: "أنت تشبه ولدي كثيرًا، هذا رأسه هو وليس رأسك. سآخذها منك يا لص الرؤوس".. أثناء محاولاتي للإفلات من يد "سالمة"، تصادف وصول "الصول" سيد، من كبار سكان الحارة، عائدًا للتو من عمله، مرتديًا بِزته العسكرية. شاهد "الصول" الموقف، قرر التدخل السريع، رفع ذراعه المزينة بالشرائط والنياشين، ثم انطلق خلف المرأة، وفى حركة جسورة قفز عليها وأسقطها على وجهها. صرختْ "سالمة" وحاولتْ الخلاص، غير أنه أحكم جسده السمين فوقها. توسلنا "للصول" كي يتركها قبل أن تلفظ أنفاسها، فلم يستجب وظل جاثمًا

فوقها بإصرار. تجمعنا في حماس، رفعنا "الصول سيد" بصعوبة شديدة، قامت "سالمة" وقد عادت إلى رشدها، وذهبت في اتجاه منزلها، في حين بقي "الصول سيد" ممددًا على الأرض دون حراك. بعد دقائق، اكتشفنا أنه قد فارق الحياة.

****

يَقِين

لم يحدث قط أن نكث "إسماعيل" عن الوعد الذي أقسمه على نفسه. قبل أن يتم السادسة عشر من عمره بعدة أشهر، كان قد غلبه اليقين أنه ميت لامحالة، وأنه قريبًا جدًا سيلحق بجدته العجوز، بعدما أورثته نفس المرض الذي أودى بحياتها أمام عينيه. انقطع أيامها عن المدرسة وهو في السنة الثالثة والأخيرة للثانوية العامة، هجر بيته وأقرانه، امتنع عن تناول أغلب الطعام فصار "جلد على عظم" بالمعنى الحرفي للكلمة، اتخذ مجلسًا ثابتًا في المسجد جوار الغرفة التي يضعون بها النعش ويُغَسِلُون فيها الموتى، ليسهل على أهله نقله إلى مثواه دون عناء. مكث على حالته تلك شهرًا كَامِلًا، لم يذعن لمحاولات أمه بإقناعه للرجوع للمنزل، وظل في انتظار أن

تبرح الروح جسده النحيل. حدث بعدها أن دخل موسم الامتحانات، توسل إليه أصحابه بضرورة الخروج للحياة، حملوه على ظهورهم إلى المدرسة، ساعدوه في المراجعة، وبعد أيام ظهرت النتائج، ونجح "إسماعيل" وانتقل للعام الدراسي التالي، ثم الذي يليه، حتى صار شابًا يهوى الآداب والفنون وامتهن الصحافة. وسط كل ذلك، لم ينس "إسماعيل" أيام مكوثه بالمسجد، وأقسم أن يبيت ليلة الجمعة من كل أسبوع بجوار النعش، يعمل فيها على نظافته، ثم يجلس في سكون، يترقب من حانت ساعته من الجيران أو من أهل المنطقة، ليقوم باستقباله وتجهيزه من أجل اللقاء الإلهي.

****

مِنْ حِكَايَاتِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَان

الْهُدْهُد

بعد وفاة الملك المفاجئة، مكث الهدهد دون عمل. فبعدما عاش عمره ينقل للملك أخبار البلاد البعيدة، أَبَتْ نفسه العزيزة أن يخدم اِمْرُؤً غيره. جاء على خاطره أن يعمل مراسلًا إعلاميًا، مدفوعًا بخبراته الطويلة في السفر وتقصي الحقائق. أرسل لعدد من الصحف والقنوات التليفزيونية حكايات المعذبين في الأرض وصورًا لحياتهم البائسة، غير أنه لم يحصل على رد. بعد طول انتظار، جاءه اتصال من مدير تحرير مجلة شهيرة، اقترح عليه أن يستغل قدرته على الطيران والتلصص، ليأتي له بأخبار النجوم، فضائحهم، وأحاديثهم السرية. اليوم، يترقب الهدهد منصبًا رفيعًا في وكالة أخبار دولية براتب مغرٍ ومزايا مثيرة.

الْفَأْر

ركض الفأر من شارع لآخر وهو يصيح في الناس:

-ألا تعرفوني أيها الجبناء، أنا الحاكم ... لقد حولني رئيس الديوان بتعويذة سحرية إلى فأر كي أهرب من الأوغاد المتآمرين على حكمي.

لم يلتفت له أحد. عاود الركض وهو يصرخ:

-أيها الشعب... لقد عشت من أجلكم أنتم، انقذوني من الكلاب الضالة والقطط المجرمة.

ظل الفأر يقفز من شارع إلى حارة، ومن حارة إلى زقاق، حتى وجد نفسه في سكة مسدودة. حاول التراجع فقابل أمامه قطًا متسخاً هزيلًا، يبدو عليه العدوانية. نظر الفأر في عينيه، زعق بشدة:

-أنت أيها القط... ألا تعرفني؟ أنا قائد هذه الدولة، وأحذرك أن تمسني بسوء.

أجابه القط في غيظ:

-وأنت ... ألم تعرف من أنا؟

تراجع الفأر مرتعدًا، قفز القط فوقه، ضربه في رأسه ضربة قوية، سحبه من ذيله والتهمه مرة واحدة، ثم وقف القط في وسط الطريق، وصاح في فخر:

-أنا الشعب سيدي الرئيس!

****

اللبؤة

لم تتوان اللبؤة يومًا عن الخروج إلى الغابة وصيد الفرائس لتؤمن للأسد الملك ولأشبالها الطعام، ولم تتردد للحظة في تسليم جسدها لمضاجعته من قبل الأسود الغرباء، كي تلوذ عن عرينها... عدا تلك الليلة.

عندما عادت اللبؤة بعد صد هجوم ثلاثة من شباب الأسود اليافعين، لم تجد زوجها في عرينه أو تحت الشجرة التي يرقد في ظلها طوال اليوم. بحثتْ عنه، تعقبت رائحته إلى أن أدركته في رفقة لبؤة شابة، تسكن كهفًا منزويًا عند سفح جبل قريب. عادت أدراجها، باتت ليلتها في صمت، لم تخرج للصيد في الصباح. مع هبوط الظلام، علا صوت زئير بالجوار. فزع الأسد من نومه، دفع اللبؤة برأسه كي تنهض لاستطلاع الأمر. لم تحرك اللبؤة

ساكنًا، أدارت رأسها للجانب الآخر. قالت للأسد الملك في كسل:

-اذهب أنت هذه المرة؛ واحرص على أن تكون وديعًا، فإن للأسود الشابة مخالب قاسية!

****

الْحَمِير

من بعد حادثة الزلزال الذي تسبب في هدم الكثير من البيوت المشيدة بالطين، والحظائر المسقوفة بسعف النخيل والقش، صار للحمير في القرية شأن آخر. صبيحة ذاك اليوم هبت الحمير ثائرة، واقتحمت البيوت في عنف وأخرجت أهلها منها عنوة. لم يُفهم ذلك الأمر في حينها، وقابل أهل القرية هذا السلوك العدواني من الحمير، بضربهم بالعصي والسياط وأعواد الحديد الصدئة.

بعد مرور تلك الحادثة، تغيرت نظرة أهل القرية للحمير تمامًا؛ فقد شعروا بأن لتلك الحيوانات قوى خفية يجب احترامها والاحتراز منها بنفس الوقت، فانبروا في صنع حظائر نظيفة لمبيتها، ولم يعودوا يثقلون ظهورها

بالأحمال، وإن حدث وصار هناك نقاش حول موضوع خلافي، يأتون بالحمير لحضوره، فإن صمتت الحمير ولم تبد أي علامة للاعتراض، اعتمد الناس القرار على الفور، أما إن علا نهيقها، وحركت رؤوسها يمينًا ويسارًا، فهذا إشارة على رفض الحلول المعروضة. حتى بلغ الأمر من بعض المسنين من أهل القرية، أن عزفوا عن ركوب الحمير بشكل مطلق، تجنبًا لإهانتها دون قصد، وغدوا يسيرون خلف أذنابها، مطرقين برؤوسهم للأرض، يقينًا منهم أن لتلك الحيوانات المُلْهَمة الكثير من الحكمة، وإنها على دراية بكل دروب القرية وأسرارها.

****

الْمُهْر

تأنق المهر "رحال" بعدما سمع من سائس الإسطبل أن "رهف"؛ الفتاة الجميلة بنت مالك المزرعة، ستصل في الصباح الباكر لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بين الزروع والحيوانات. نام "رحال" يحلم بوجه الفتاة المشرق كقطعة سكر وهي تتحسس رأسه براحتيها الرقيقتين ثم تربت على صهوته وتمتطيه بغير سرج فيعدو مبتهجًا.

مع شروق الشمس، فتح السائس باب الإسطبل. اندفع رحال يقفز في همة ونشاط. بعد ساعة وصلت الفتاة مع أبيها. استعرضت الطيور والحيوانات. تَبَختَرَ رحال كالجياد الراقصة محاولًا جذب انتباهها. بالفعل، شدت الفتاة

يد أبيها وأشارت نحو المهر. بدون أن يسحبه السائس اتجه رحال إليهما. ربتت البنت على ظهره، قالت لأبيها:

-أبي... جميل هذا المهر، ولونه جذاب. أريد أن أقتني ديكًا له نفس اللون.

نكس رحال رأسه ولوى رقبته ناحية الإسطبل. اليوم التالي، جاءت الفتاة مع أبيها وتوجها إلى حظيرة الطيور. سأل مالك المزرعة الحارس عن أصوات صخب صدرت من المزرعة طوال الليل. هز الحارس رأسه نافيًا سماعه لأي صوت غير معتاد. فُتِحَت الحظيرة، فبُهِتَ الجميع لرؤية كل الديكة ميتة، والمهر رحال منتصبًا في وسط المكان، يصيح صياح الديكة، وقد كسا وجهه وجسده بريشها الملون.

****

الْكَرَوَان

جلس أبو قردان الحكيم بجوار الكروان، يهدئ من روعه، ويواسيه، فتلك هي المرة الثالثة التي يخسر فيها مسابقة الصوت الحسن، على الرغم مما يملكه من صوت عذب، يجتمع لسماعه الطيور ساعتي الشروق والغروب. هب الكروان واقفًا في صلابة، مسح دمعه السائل في غزارة، قال لأبي قردان في حسم:

-لا يهم، سأتقدم للمسابقة العام القادم، وسأحقق حلمي.

هز أبو قردان الحكيم رأسه ممتعضًا، ربت على جناحي الكروان، حدثه في لهجة أبوية:

-هل تأخذ بنصيحتي هذه المرة؟

أجاب الكروان:

-أسمعك أولًا!

قال له أبو قردان:

يا ولدي، لا مجال لك أن تفوز بمسابقة الصوت الحسن، طالما أن لجنة التحكيم تتألف كلها من الغربان.

****

الْحَمَامَة

فكرتْ الحمامة كثيرًا في طريقة لمساعدة صديقها. فمن بعد ما غابت عنه أليفته الشقراء ذات العطر النافذ، والتي اعتاد على دعوتها ليلًا إلى عشتهم، وهو بائس حزين. قررتْ الحمامة أن تطير لبيت الفتاة، تخبرها بحالته التعسة، وتدعوها لزيارته. في غلالة الفجر، حلقتْ الحمامة لتنفذ خطتها. وصلتْ لشرفة الفتاة قبل أن ينتصف النهار. بعد قليل، ظهرت الفتاة ومعها رجل مسن، اختفيا معًا في غرفة جانبية. طارت الحمامة تبحث عن منفذ آخر لرؤيتها. وصلتْ لنافذة غرفة النوم. من فرجة صغيرة، شاهدت الفتاة في أحضان الرجل. صُدِمَتْ الحمامة. اختل توازنها. قفلت إلى عشتها. بلغتها

قبل الغروب. وقفت تفكر في حيرة؛ كيف تخبر صديقها بما رأت؟ سمعتْ جلبة فوق سطح البيت. رفرفت جناحيها. سارت في هدوء تستكشف الأمر. شاهدت صديقها يضحك ويرقص على موسيقى صاخبة، وبرفقته فتاة أخرى، عطرها أكثر نفاذًا من صديقته الشقراء.

****

أبُو قردان

نظرًا للحالة النفسية السيئة التي ألمت به في الآونة الأخيرة، والوهن الذي أصاب مفاصله وجناحيه، نصح الأطباء أبا قردان المسن أن يعود إلى قريته الأولى حيث نشأ صغيرًا بين الحقول الخضراء، يأكل من ديدان الأرض، يلهو مع العصافير والهداهد، يسبح في الترع والقنوات الصغيرة، وينام بين أغصان أشجار الصفصاف.

سمع أبو قردان لنصيحة الأطباء، ليس لرغبته في الشفاء كما يمنونه، بل ربما شعر بقرب أجله، ولم يرغب أن يلقى حتفه تحت عجلات السيارات في المدينة، أو تُلقى بجثته بين أكوام النفايات. جمع أغراضه الشخصية، طاف

يلملم فراخه من فوق صناديق القمامة، لم يعد يقوى على الطيران، فتسلل إلى إحدى سيارات الأجرة المتجهة نحو قريته الأم.

مع مرور الوقت، تحسنت صحة أبي قردان، على خلاف فراخه الذين ضعفت همتهم، وتغير لونهم مما اضطره لعرضهم على طبيب القرية الذي طلب منهم مجموعة من الفحوصات و التحاليل مع الراحة التامة. بعد عدة أيام، زار أبو قردان الطبيب ليطمئن على نتائج الفحوصات، فأخبره الأخير بضرورة تغيير غذاء الفراخ الصغيرة، ليقتصر على أمعاء الدجاج النافق، وفضلات الطعام المنزلي، مع حصولهم على جلسة تنفس أسبوعية، يتعرضون فيها لدخان القمامة المحترقة وعوادم السيارات!

****

الْبَغْل

ذهب البغل إلى الجياد ليعيش بينهم، أخبرهم أنه أخ لهم، تأملوا شكله القبيح ثم عينوه خادمًا للقطيع، يرفع مخلفاتهم، دون أن يخالطهم في المأكل والمشرب.

هرب البغل من مذلة الجياد إلى الحمير؛ بين لهم أنه ابن أبيهم. لم يصدقوه، اتهموه بأنه جاسوسًا للضباع، رفسوه بقسوة وأعرضوا عنه.

في النهاية، اتجه البغل إلى قطيع الضباع، وقف أمامهم ساكنًا دون حراك. تحذر الضباع منه هُنَيْهَةً، قبل أن يتسابقوا على نهش جسده المسالم، والتلذذ بوجبة شهية طازجة.

الْأَرْنَب

ارتدى الأرنب المسن نظارته، واستغرق في تصفح ألبوم ذكرياته. استرجع شبابه ورشاقته وهو يجوب أطراف الغابة في طرفة عين، يقفز فوق الأسوار، ويأكل ثمار الجزر القاسية في سهولة، ذلك قبل أن تتساقط أسنانه الواحدة تلو الأخرى. وقعت عيناه على صورته برفقة السلحفاة، شعر بالشوق إليها، سحب عصاه وهَمّ بزيارة صديقته العجوز.

سار الأرنب على مهل مستندًا على عصاه حتى وصل بيت السلحفاة. رآها تزحف في بطء، تلتهم بعض أوراق الخس في روية. ناداها فلم تجيب. ضعف سمعها مع تقدم العمر. رفع صوته وأعاد النداء. مدت رأسها خارج صدفتها، انبسطت تجاعيدها عندما تبينت وجه الأرنب. رحبت به ودعته للجلوس.

تبادلا الضحكات وتناوبا على قص حكايات الماضي. تذكرا يوم أن تسابقا وفازت السلحفاة بالسباق. قال لها الأرنب:

-سقطة واحدة... حفظها التاريخ للأبد.

قالت السلحفاة:

-نعم... لكن لا مانع من تكرارها!

رد الأرنب في ثقة:

-مستحيل يا حلوة، الأذكياء يتعلمون من أخطائهم!

قالت السلحفاة:

-إذن أنا أتحداك الآن في سباق نحو بيتك، ومن يصل أولًا، يقوم على خدمة الآخر سنة كاملة.

حك الأرنب رأسه، رد على السلحفاة:

-موافق... متى نبدأ؟

أجابته السلحفاة في تحفز:

-الآن...

وبالفعل، يممت السلحفاة وجهها تجاه بيت الأرنب، شرعت في الزحف البطيء المتناغم. سارت لعدة خطوات ثم أدارت رأسها للخلف. رأت الأرنب جالسًا في مكانه دون حراك. سألته عن سبب تأخره. أجابها:

-مفاصلي تؤلمني يا صديقتي، تقدمي وسألحق بك.

ابتسمت السلحفاة. عادت أدراجها، أشارت إلى الأرنب ليقفز فوق صدفتها، ستحمله هذه المرة فوق ظهرها، كي يصلا معًا خط النهاية.

****

الْعُصْفُور

بعدما باح لي العصفور بأخبار الطير والحيوان، كافأته بقفص ذهبي يأوي إليه عوضًا عن بيت القش في شجرة الكافور المقابلة لشرفتي، وأهديته عصفورتين صغيرتين، لتؤنسا ليله ونهاره، ولتنقلان لي ما أخفاه من أسرار وحكايات.

****

مَجَلَّة الصَباح

أخْبَار السِياحَة

تنشيطًا للسياحة بالمدينة الساحلية، قرر المجلس المحلي نشر شاشات عرض ضخمة فوق جدران النوادي والبنايات التي سيجت الشاطئ وحجبته تمامًا عن أهل المدينة. تعرض الشاشات الأنيقة بثا حيًا للبحر ورماله الناعمة، كما تم تزويدها بمكبرات للصوت، تُبَث فيها أصوات الموج الهادر، صياح الصبية، وأهازيج بائعي الحلوى والمثلجات.

****

أخْبَار الْحَوَادِث

حكم قاضي جنح بندر دمنهور بالإفراج الفوري عن المدعو سيد شرف الدولة عثمان، المعلم الخبير بمدرسة الشهيد عبد المنعم رياض بدمنهور، بعد ضبطه متلبسًا بتقديمه دروسًا ليلية للطلبة، بالمخالفة لقرار الوزارة بهذا الشأن. لم يدون القاضي في حيثيات الحكم أية أسباب لرفض الدعوى، إلا أنه أشار للجالسين في القاعة حينها أن القلم الذي يمسكه بيده منذ أن اعتلى منصة القضاء، ويسجل به الأحكام، كان قد أهداه له نفس المعلم الخبير منذ زمن ليس ببعيد، دعمًا لتفوقه النابه. كما أوصى القاضي بضرورة تحويل الأحراز المضبوطة مع المعلم من طباشير وأوراق مع سبورة سوداء، إلى نماذج فنية، تُعرض للجمهور العام في ميدان الساعة بدمنهور، مجاورة لتماثيل الزعماء ورموز الدولة.

أخْبَار الريَاضَة

تعتذر المجلة عن النشر في القسم الرياضي، نتيجة لإلغاء المنافسات الرياضية الاحترافية، وتحويل كل الاستثمارات في هذا المجال لمشروعات الصحة والتعليم والإسكان.

****

حَدَثَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْم

أغسطس 1941

بمناسبة عيد جلوس الملك فاروق الأول، ملك مصر والسودان، على العرش، تشدو الآنسة أم كلثوم إبراهيم في حفل ساهر على تياترو حديقة الأزبكية أغنيتها الجديدة "لاح نور الفجر"، من كلمات الشاعر أحمد رامي، وألحان محمد القصبجي. يحضر الحفل الأمير فلان الفلاني بصحبة أصحاب السعادة ، فلان فلان باشا، وصاحبة العصمة فلانة هانم، وفلان فلان بك، والوجيه فلان العلاني. يخصص عائد الحفل بالكامل لدعم المشروع الملكي لمكافحة الحفاء.

ملاحظة: الدخول بالملابس الرسمية.

سعر التذكرة 150 قرش صاغ.

****

أخْبَار الطَّقْس

جحظت عينا الولد وهو يتابع أخبار التغيرات المناخية، والأثر الذي سيخلفه ذوبان الثلوج في المحيط المتجمد من رفع لمنسوب البحار، سيؤدي إلى غرق المدن الساحلية، ومن بينها مدينته. قام الصبي في همة، سحب قصبة الصيد الخاصة بأبيه، ولقمها بطُعم يحتفظ به الأخير على الدوام في الثلاجة. خرج الولد إلى الشرفة، ثبت قصبة الصيد بإحكام في السور الحديدي، ألقى بالخيط بعيدًا بأكبر قوة امتلكتها ذراعه، ثم وقف يراقب الطريق المزدحم بالمارة والسيارات، يرنو بنظره نحو الأفق، منتظرًا في صبر قدوم الفيضان.

****

حَلَقَات مِنْ الْخَوْف

سُوءُ فَهْم

لم تتفهم "أبلة ليلى" سبب تقاعسه عن أداء الواجب المدرسي، وضربته أربع ضربات بعصا الخيزران على يديه؛ الحقيقة أن حقيبة كتبه كان قد نسيها في غرفة جده، وجده رجل طاعن في السن، جده سيموت... حتمًا سيموت.

أمه هي الأخرى، لم تكف عن نهره لعدم وضع ملابسه في الخزانة ولتعمده إلقائها في بهو الشقة في منظر فوضوي قبيح. لم يشأ أن يخبرها بأن خزانة ملابسه في غرفة جده، وجده رجل طاعن في السن، جده سيموت... حتمًا سيموت.

****

وِشَايَة

لازمه هاجس أن تفشي جارتهم العزباء لأمه عن نظراته المتفحصة لجسدها المكتنز الصارخ بالرغبة، صار يتبعها في جولات التسوق، يحمل أكياس الطعام لشقتها الرحيبة، يجلس تحت قدميها، يكحت عقبيها الخشنين "بالحجر الخفاف" حتى يصيرا ناعمين أملسين، ولا يتركها قبل أن تحتضن رأسه في صدرها، لتسكن من روع جسده المرتجف، وتهدأ عيناها الحائرتان.

****

لَيْلَة شتْويَّة

لم يشأ أن يحصي ما أمضاه من وقت وهو جالس على سريره، يضم ركبتيه إلى صدره، منكس الرأس، يتحاشى النظر إلى "سماح" التي تتقلب في نومها طوال الليل، ينبعث من جسدها حرارة متواصلة، اعتادت أن تذيب صقيع أعضائه المتيبسة مبكرًا.. مبكرًا للغاية.

****

مُقَاوَمَة

أخبره الطبيب بضرورة تحدي أقصى مخاوفه. خرج من العيادة متوجهًا لمنزله. توقف في منتصف الطريق فوق جسر مرتفع يعبر النهر، ارتقى سوره الحديدي، نظر في تحدٍ لتيار الماء المندفع، يسحب في طريقه أكوامًا من الحشائش والنباتات، سمع من خلفه أصواتًا فزعة من المارة ورجل الشرطة والمعلمة وأمه وجارتهم الحسناء وسماح وجده الطاعن في السن. قبل أن يقترب منه أحدهم، قفز إلى النهر في ثبات، وقد وقر في قلبه أنه إن نجا من قفزته فقد هزم الموت، وإذا مات فقد قتل الخوف.

****

رسَالَة إلى رَاهِبٍ مُتَجَوِّل

أخبرتَني في رسالتك الأخيرة أنك رأيتَ في رحلتك لإيطاليا نبيًا يأوي الصعاليك والمشردين، لا يكترث أن يمنحهم من ماله، وهو يعلم أنهم سينفقونه في شرب الخمر، ثم يعودون إليه آخر الليل ثملة. تَبِعْتَ خطواته في حواري ميلانو وأنفاقها القديمة، ورَسَمْتَ له صورة العذراء على جدران الكنيسة. عزيزي رضا*؛ ألم تعثر في حواري مدينتنا على نبي آخر؟

•إشارة: (الراهب المذكور في القصة هو رضا إمام، قاص وروائي مصري يعيش في مدينة دمنهور، وهو بمثابة الأب الروحي لأجيال من الأدباء.)

****

محتويات الكتاب

إهداء.....5

تُفَّاحَة آدَم..... 7

حَمْلٌ إِلِكْتِرونِي..... 8

الْمُهَرِج السَّعِيد 11

جَبَل مِنْ زُجَاج..... 13

حُلم رَجُل طيب..... 14

فُيَضَان..... 15

شَغَف 16

عِلاقة مَمْنُوعَة 17

مِنْ نَظرة عَيْن 19

عِنَاق..... 20

الزَّائِر 21

دِعاية 23

مِرْآة الْحَقِيقَة..... 24

قرَار..... 27

الصَّخْرَة 29

يَقِين..... 33

مِنْ حِكَايَاتِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَان 36

الْهُدْهُد 37

الْفَأْر..... 39

اللبوءة 41

الْحَمِير..... 43

الْمُهْر 45

الْكَرَوَان..... 47

الْحَمَامَة..... 49

أبُو قردان 51

الْبَغْل 53

الْأَرْنَب 55

الْعُصْفُور 59

مَجَلَّة الصَباح..... 60

أخْبَار السِياحَة..... 61

أخْبَار الْحَوَادِث 62

أخْبَار الرِيَاضَة..... 63

حَدَثَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْم..... 64

أخْبَار الطَّقْس..... 67

حَلَقَات مِنْ الْخَوْف..... 68

سُوءُ فَهْم..... 69

وِشَايَة 70

لَيْلَة شتْوِيَّة..... 71

مُقَاوَمَة 72

رِسَالَة إلى رَاهِبٍ مُتَجَوِّل..... 73

محتويات الكتاب..... 74

تم بحمد اللّه

رسالة إلى راهب متجول

مجموعة قصصية

عادل الغنام

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com